إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد الحادى عشر – خريف ١٣٩٢ش/أيلول ٢٠١٣م
صص ٣٠ ـ ٩

الموازنة بين مكانة المرأة فى منظومتى "ويس ورامين" و "بيجن ومنيجه" من منظور النسويّة

إسماعيل حاكمى*
راضية زواريان**

الملخّص

الولوج فى عالم المرأة النفسى لدراسة شخصيتها وأخلاقها قد حظى دوماً باهتمام العلماء والأدباء، والتعرف على مكانة المرأة فيما يتعلّق بتطوّر الإنسان بحاجة ماسة إلى دراسات شاملة تكشف عن الإبهامات التى تسبّب إصدار أحكام متسرّعة عن المرأة والتشهير بها على أنّها "المجرمة الأزلية".

ولقد واجهنا فى إيراننا القديمة نساءً محنّكات لم يخضعن للإهانة والحقارة قطّ، بل شاهدنا من جانب البعض ردود أفعال عنيفة، بحيث أحدثت زلزالاً فى المبادئ السياسية والثقافية والاجتماعية المقرّرة.

والغرض من هذه البحث هو التعريف بالوجه الحقيقى للمرأة التى وقفت بعزمها الراسخ أمام المصير الذى قرّره الآخرون لها، والدراسة بدأت باستعراض شخصية المرأة الأصيلة فى منطومتى "ويس ورامين" لفخرالدين أسعد الجرجانى و"بيجن ومنيجه" للفردوسى، ثمّ انتقلت إلى تبيين مكانة المرأة فى هاتين المنظومتين من منظور النسوية بالتأكيد على عنصر الزمان والذى يتعلّق بالعصر الأشكانى.

الكلمات الدليلية: مكانة المرأة، إيران القديمة، ويس، منيجه، القدر، النسوية.

---

*. أستاذ بجامعة طهران، إيران.
**. خريجة مرحلة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران، إيران.
dr.zavarian@gmail.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. عبدالحميد أحمدى
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٣/٢ تاريخ القبول: ١٣٩٢/٢/١١

المقدمة

مازالت المرأة فى ساحة عالمنا الرحيبة تعتبر امرأة مهيضة الجناح فقط، ولاتزال تحمل على عاتقها آلاماً كثيرة، وإن مضت على نشأتها على الأرض ملايين السنين، ولكنها استطاعت رغم المشاكل المتعدّدة أن تظهر الدرّ المكنون من وجودها الحقيقى.

وهناك فى الأزمنة القديمة دراسات للبحث عن مكانة المرأة وحياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بحيث توّفر لنا معلومات نافعة عنها، ومنها أنّ المقارنة بين المشهورين من النساء والرجال فى تاريخ إيراننا القديمة تشير إلى أن عدد النساء الشهيرات أقلّ من الرجال المشهورين بكثير، وأنّ مردّ ذلک الكم القليل ليس إلّا لشهرة آبائهنّ أو إخوانهنّ أو أزواجهنّ.

وعلى حسب رأى المؤرخين، فالنساء اللاتى شاركن فى الحرب أو السياسة وتمكّنّ من الوصول إلى منصّة الحكم أو القيادة أثّرن فى التاريخ تأثيراً لامثيل له.

والولوج فى عالم النساء من القضايا المعقّدة جدّا وله تاريخ يصل مداه إلى التاريخ البشرى، ولكن هناک فى إيراننا القديمة نساء مثقفات مجربات أثّرن فى تقدّم المجتمع الإنسانى بقدراتهن البالغة وذكائهن المثالى، بحيث وظّفن قدراتهنّ لصدّ ما تتعرّض له المرأة من إهانة وتحقير.

تعتبر "ويس" و"منيجة" فى منظومتى "ويس ورامين" و"بيجن ومنيجه" نموذجين من هؤلاء النساء.

وقفت "ويس" أمام المصير الّذى قدّره لها المجتمع الذى يتحكّم فيه الرجال، ولكنّها قرّرت لنفسها مصيراً آخر بإصرارها وعزمها، فانتصرت ظافرة، كما اختارت "منيجه"، بشجاعتها البطولية وعزمها الراسخ، زوجا لنفسها على خلاف تقاليد مجتمعها، إنها ثابرت حتى الموت لذلک الاختيار ولذلک العشق الصادق فواصلت حياتها فخورة.

مكانة المرأة فى منظومة "ويس ورامين"

منظومة "ويس ورامين" أثر من الآثار الباقية لقصة إيرانية قديمة قام بنظمها فخرالدين أسعد الجرجانى الذى يعتبر واحداً من كبار القصّاصين الإيرانيّين الذى

عاش فى القرن الخامس للهجرة.

يعـود تأريخ هـذه القصة إلى الأزمنة التى كان يسـيطر عليها النظام الإقطاعى فى العهد الأشـكانى، وقد قام فخرالدين أسعد الجرجانى بنظمها، وكانت فى الأصل باللغة الفهلويـة، والأرجح أنّها تتعلق بمرحلة تولّت على الحكم فروع من سـلالة "گودرزيان" و"قارنيان"، وأسـرة "ماه" أو أسرة "قارنى"، الأسرة الّتى تنسب إليها "ويس"، إنّها تعتبر إحدى الأسـر الأشرافية السـبع فى العهد الأشـكانى. وقد وقعت الحوادث فى مملكة كبيرة تقع فى الشرق، فى مدينة "مرو" دون أن يكون لها أيّة مركزية.

وكانت للنسـاء مكانة مرموقة فـى إيران القديمة فقد تمّ الحصـول على الكثير من التطـورات الاقتصادية بيد هـؤلاء، وكذلک لم يكنّ بمعزل عن عالم السياسـية والحكم والعلم، بل كان لهن تأثير فى أهمّ الحوادث الوطنية عن بصيرة نافذة ويقظة كاملة، بحيث قمن بالدفاع عن مطالبهن المشروعة.

وأما فى العهد البارتى فضعفت مكانة المرأة، وفرضت عليها قيود، كما يشـير بعض المستشرفين إلى هذه الظاهرة قائلاً: إن مكانة المرأة فى العهد البارتى أقلّ من مكانتها فى العهدين البارسى والمادى، بحيث كانت المرأة فى العهد الأشكانى وسيلة فى يد الرجال للوصول إلى الأهداف السياسـية، كما كانت للكثير من الزوجات نزعة سياسية، وكان الغرض الرئيسى إيجاد التعامل بين القدرات السياسية السائدة على المناطق المختلفة.

والواضـح أن الشـىء الوحيد الذى لايهتـمّ به أبداً نظام المجتمـع الذى يتحكّم به الرجـال هو مصـير المرأة، ومن هذا المنطلـق فالمحظورات التـى واجهتها قصة "ويس ورامين" ناتجة عن المطالبة بحقوق النساء الطبيعية، الحقوق التى لم يوافق عليها قطّ ذلک المجتمع الذى لايرى حرية التفكير واختيار العمل إلّا للرجال.

وأما "ويس"، الشـخصية المحورية، والتى تتعلق بها شخصيّات الآخرين، فتقف أمام ذلـک المجتمع وتطالب بحريّتها فتحوز عليها، لأنّ «الحرية المطلقة كانت تتعلق بالرجال فحسـب، وفى تلک المعادلات يحظى الرجل بالملذّات والشـهرة وليس للمرأة حظّ إلّا تحملّ المشاق واللؤم والعتاب. فالمرأة على أساس هذه المعايير الجافة تعتبر لعبة ولاغير، ومن هذا المنطلق فليسـت "ويس" إلّا زوجة للملک "موبد" المعمّر، وعشـيقة لـ"رامين"

الشـــاب، فلا قيمة لنفســـها، لأن الأقدار أرادت أن تجرى الأمـــور كما هى فى الحال.» (مزداپور، ۱۳۸۲ ش: ۱٤۱)

"ويـــس" هى المرأة التى قرّرت لهـــا الأقدار مصيرها قبل ميلادها واختارت لها نوع العمل التى يجب أن تقوم به، ورسمت لها سلوكها فى الحياة «وهذه هى الحال التى تسبب خضوع قســـم من أفراد المجتمع لارتكاب الجرائم، الجرائم التى تشبه اللعنة المشؤومة والتـــى قرّرها المجتمع لهم قبل ولادتهم، حتى ولو أنهم قاوموها فى بداية الأمر مقاومة عابثة كما فعلتها "ويس".» (المصدر نفسه: ۸)

ولإبعاد النســـاء عن ســـاحة المجتمع والحـــطّ من قدراتهن، عادة مـــا يقوم الرجال بقمع النســـاء وتحقيرهن، وإشعارهن بأن وجود النساء هو ما يسبب الأخطاء والجرائم والإفساد فى الأرض، وبدا ذلک فى قصة "ويس ورامين" حيث يحاول المجتمع الرجالى تقييد المرأة بقضاياها الجنسية وإلزامها بها لإبعادها عن الاستقلال الفكرى والحرية،كما طلبوا منها الامتثال والطاعة والانقياد، بحيث اعتبروها قيماً أخلاقية معتقدين أنّ المرأة إذا أرادت أن تكـــون محبوبة لدى الرجل فلابدّ أن تكون مطيعة، وضعيفة، ومحتاجة إليه، كما ورد فى المنظومة:

دو كيهان گم كنند از بهر يک كام چو كام آيـــد نجويند از خرد نام
زنان را گرچه باشد گونه گون چار ز مـــردان لابه بپذيرنـــد و گفتار
شـــكار مرد باشد زن به هر سان بگيرد مرد او را ســـخت آســـان

ـ تُضيع النساء الكونين لأجل الشهوة وعند الحصول على الملذّات لايهتممنَ بالعقل.
ـ مع أن للنساء حيلاً مختلفة ولكنهنّ يسمعن حديث الرجال ويجبن دعوتهم وتضرعهم.
ـ على أية حال، فالمرأة تعتبر فريسة الرجال، فيحصل عليها الرجل بكلّ سهولة.

و كذلک يعتبر الرجال المرأة الحرة المفكرة مرأة وقيحة ناقصة العقل:

چه نيكو گفت موبد پيش هوشنگ زنان را آز بيش از شرم و فرهنگ
زنـــان در آفرينـــش ناتمامنـــد ازيرا خويش كام و زشت نامند

ـ أظهر "الموبد" رأيه عند "هوشنگ" بأحسن صورة قائلاً: إن حرص النساء أكثر من الحياء والتقاليد السائدة على المجتمع.

ـ إن النساء ضعيفات فى الخلق ولأجل ذلک الضعف يبحثن عن الملذّات ولهنّ سمعة سيّئة.

كما ورد فى مكان آخر للمنظومة دلالة على خلو النساء من الشفقة:

مبادا کـس که از زن مهر جوید که از شـوره بیابـان گل نروید
بود مهـر زنان همچـون دم خر نگـردد آن ز پیمـودن فزون تر

ـ حذار أن تطلب المحبة من المرأة، لأن الورد لاينبت من السبخة.

ـ فمحبة النساء كذنب الحمار لايصبح طويلا إثر طى الطريق.

ودليـل آخر على دناءة مكانة المـرأة هو إظهار كراهية الرجـال منها، وميلهم إلى الابتعاد عنها فى أيام الحيض، لأن الرجال يعتبرونه نفثة شـيطانية تدنو من المرأة لعدة أيام فى كل شـهر وتلوّثها، بحيث يعتقد الرجـال أن الابتعاد عن المرأة فى تلک الأيام المعدودة أمر واجب، فكانوا يذهبون بها إلى خارج المدينة. كما ورد فى المنظومة:

زن مغ چون بدین کردار باشـد به صحبت مرد از او بیزار باشد
وگر زن حـال از او دارد نهانی بـر او گـردد حـرام جاودانی

ـ إذا كانـت المرأة على هذه الحالة يشـمئز الرجل مـن أن يتحدث معها وإن كانت زوجة لرجل الدين.

ـ وإن لم تخبر الزوجة زوجها عن تلک الحالة تحرم عليه إلى الأبد.

وهـذا الأمـر يعود إلى المبادئ الزرادشـتيّة التى تقوم بنيتها الفكرية على أسـاس شيطنة المرأة وحقارتها والتفاخر بوجود الرجل.

وفى منظومة "ويس ورامين" يخاطب الملک "موبد" "ويرو" قائلاً:

همی تا در شبسـتان و سـرائی هنرهـای یـلان نیکـو نمائـی
چو در میدان شوی باهم نبردان گریزی چون زنان از پیش مردان

ـ مادمت فى حرم المسجد أو فى البيت تقوم بإظهار فنون الأبطال بأحسن صورة.

ـ ولكن عندما تخوض المعارک وتلتقى بالأبطال تفرّ منهم كما تفرّ النسـاء من أمام الرجال.

والـذى يأمر ويحكم فى هـذه المجموعة هو الزوج، والسـائد والقائـد هو الرجل

وإرادتــه، وحكمه مطــاع، ولكن للمرأة خصائص أخرى كما يعبر الشــاعر فى "ويس ورامين" عنها وعن الكيفيات النفسانية المختصة بالنساء قائلاً:

زنان نازک دلند و سســت رأیند به هر نحو چون برآریشان برآیند
زنان گفتار مردان راست دارند به گفت خوش تن ایشان را سپارند
زن ارچه خسرو است ار پادشاهی وگر خود زاهد است ار پارسایی
بدیــن گفتار شــیرین رام گردد نیندیشــد کــزان بد نــام گردد

ـ النساء رقيقات القلوب وضعيفات الآراء فيترعرعن على أية سجّية يتربّين عليها.

ـ يعتقد النســاء بإنّ الرجال صادقون فى كلامهم فيخضعن لما يفوهون به من حلو الحديث.

ـ إن تكن مليكة، أو سلطانة، وإن تكن زاهدة، أو عابدة.

ـ فإنها تخضع للكلام الحلو ولا تفكر أبداً فى سوء الشهرة.

كما نــرى هذه الحالة عند "ويس"، إنّها تلك المرأة التى تلتزم بالعفّة وتمتاز بحســن السمعة، بحيث تبحث عن الجنّة الخالدة ولكنها تترك العيب والعار إلى جانب والسمعة والشهرة إلى جانب آخر وتدع الدنيا برمّتها لعشق حبيبها "رامين".

ومن مطالب المجتمع الذى يسيطر عليه الرجال أن لا تحبّ المرأة نفسها أبداً، بل لابد لها أن تفدى الرجل بروحها ودمها، وتضحّى بنفســها،كما نرى هذه الحالة عند "ويس"، إنها قامت بالتضحية حتّى بلغت ذروة الفداء واشترت العار والفضيحة بثمن غال.

ربّمــا انقياد "ويس" الكامل تجاه عشــق "رامين" يدلّ علــى أنّها تنوى نكاية "موبد" وأذاه، لأنه الرجل الذى قتل أباها وأخرجها من مسقط رأسها كرهاً وفصلها من زوجها "ويرو".

ليست "ويس" امرأة عاهرة فاسقة، بل إنها ملتزمة بعشق "رامين" حتى نهاية عمرها، كما قامت بتضحية نفســها لأجله فى مجتمع أحاطه الانحطاط والفســاد بســبب وجود النساء الروميات والإغريقيات، كما تعبّرعنه "دايه" قائلة:

زنــان مهــتران و نامــدارن بــزرگان جهــان و کامــکاران
اگرچه شــوی نامــبردار دارند نهانــی دیگــری را یــار دارند

ـ زوجـات الزعماء والمشـهورين من الرجال وأصحاب الحظـوظ وزوجات كبار العالم.

ـ وإن كان لهنّ حليل شهير إلّا أنّ لهنّ فى الخفاء خليلا آخر.

كانت "ويس" وفيّة "لرامين" جدّاً رغم أنه لم يكن وفيّاً لها؛ فهى امرأة مثالية تريد أن تعيش وتستمتع بحياتها.

فطبيعة "ويس" السـاخنة ومعنويّاتها الرفيعة لاتسمح لها أن تستسلم لكلّ ما يحدث مـن أطرافها، بل نرى ميلها إلى حرية الاختيار منذ طفولتها، ولهذا السـبب تختلف مع "دايه" فى اختيار ثوب من الثياب وهى طفلة صغيرة، كما تقول "دايه":

همى نپسندد اكنون آنچه ماراست وگرچه گونه گون خز و ديباست

ـ إنها لا يعجبها الثوب الذى اخترناه لها وإن كان من أنواع الخزّ والديباج.

إن "ويس" ابنة الملك ولها عزمها، فتبحث عمّا تتمنّاه، وإنها ليست من النساء اللاتى يتّخذن مواقف انفعالية تجاه الحوادث والكوارث، ولا تضحّى بنفسها لمطالب الآخرين، بل إنها تثور ضدّ الظلم الذى تواجهه، وتدافع عن حقّها وتلحّ على مطالبها عاشقة دون أن تخاف أحداً؛ إنها لاتزال تعيش فى عالم التناقض بين العشق والغرور، وهناك مشاهد كثيرة تدلّ على غرورها، ومن أجملها هو المشهد الذى يعود فيه "رامين" من عند " گل" لزيارة "ويس" ولكنّها تطرده وترفض اعتذاره، وهناك مشاهد أخرى تصوّر لنا مواصلة الغنج والدّلال بينهما، بحيث يتنفّس الصباح دون أن ينتبها:

چو بام آمد سخنها گشت كوتاه دل گمراهشـان آمد سـوى راه

همان گه دسـت يكديگر گرفتند ز بيم دشمنان در كوشـک رفتند

ـ عند الصباح قلّت الأقوال واهتدت قلوبهما التائهة.

ـ فآنذاک أخذ الواحد منهما بيد الآخر ودخلا القصر خوفاً من الأعداء.

تظهر تجليّات عشـق "ويس" الصادق بكاملها فى المنظومة، بحيث إنها تلتزم بعهدها من الآونة التى عشقت "رامين" حتى نهاية عمرها؛ كانت تتألم ولكنّها تبتهج؛ إنها تربّى نفسـها فى ظلّ "رامين" وعشقه وهذا هو الذى أمكنها أن تعيش مائة سنة، لأنها تعرف الهوى وفنّ العيش أكثر ممّا يعرفه "رامين" .

شهرو

ومن النساء الشهيرات التى لعبت دورا مهمّا فى منظومة "ويس ورامين" هى "شهرو"، أم "ويس"، إنها امرأة عريقة ونبيلة تنتهى سلالتها إلى "جمشيد"، الملك الأسطورى، إنها جميلة فى غاية الجمال ومجرّبة محنّكة فى الأمور، بحيث تسـمّى "شـهربانو" أى خاتون المدينة، و"ماه بانو" أى قمر النساء؛ وهذا هو السبب الذى أدّى إلى تسمية "ويرو"، زوج "ويـس"، بالملك والأمير احتراماً لـ"شـهرو"، أم ويس، كما كان أبوها "قارَن" يُسـمّى "شوى شهرو" أى زوج شهرو. وهذا كلّه يدلّ على عظمة شخصية "شهرو".

شـخصية "شـهرو" ومكانتها فى منظومة "ويس ورامين" تدلّ على المكانة المرموقة لبعض النسـاء بين الطبقات الأشـرافية فى العهد البارتى، كما تـدلّ على أنهن لم يكنّ بعيدات عن المجتمع بل يحضرن فى المراسيم و المهرجانات مع الرجال جنباً إلى حنب، كما ورد فى المنظومة:

که بود در این زمانه شـهریاری به شـاهی کامـکاری بختیاری
همه ساله به جشن اندر نشستی چو یک ساعت دلش برغم نحستی
زهر شهری سـپهداری و شاهی زهر مرزی پـری رویی و ماهی

ـ كان فى الدهر ملك، إنّه كان سعيداً جدّاً بهذا المُلك و كان الحظّ حليفه دائماً.

ـ وكان يقيم حفلة فى كل سنة، لأنّه ما كان يطيق الغمّ والهمّ ولو للحظة واحدة.

ـ وفى تلك الحفلة كان يشـارک من كلّ مدينة قائد وملک،كما كانت تشارک فيها من كل بلد حسناء جميلة كالقمر.

كانت "شـهرو" واحدة مِن هؤلاء النسـاء، بل إنها كانت تفوق جميعهن، ويذكر اسمها قبل أسمائهنّ. إنها كانت سـيّدة النساء، وكانت الأمور تجرى بيدها، وتمتلک قدرة هائلة، بحيـث قامـت بتزويج طفلة للملک "موبـد" قبل ولادتهـا ودون إذن أبيها على خلاف الطقوس الزرادشـتية، ثم زوجتها لأخيه دون أن تسـتأذن "موبد" أو يشعر "موبد" بهذا الأمر، وبعد أن أدرک الملک "موبد" الأمر أجبرته على المرافقة والمداراة.

فلهذا كان «لها وجه سـلبى فى المنظومة إلى حد ما، لأنها خطبت ابنة غير مولودة لرجـل، ثّم زوّجتها لرجل آخر، وفضلاً عن ذلـک أنها نكثت عهدها عندما فتحت باب

القلعة أمام الأعداء، وسـلّمت ابنتها للملک "موبد"، بحيث أريقت الدماء لامتلاک ابنتها "ویس"، ومنها إراقه دم کان لـ "ویرو"، زوج "ویس" الأوّل. فهی لم تکن حسنة السمعة من الناحية الأخلاقية.» (خاتون آبادی، ۱۳۷٦ ش: ٦٦٧)

وفی إيران القديمة کانت الأمهات تختار النسـب عندما کانت السيادة للأم، وعلامة أخری من علامات المجتمع الذی تتحکّم فيه النسـاء هی اختيارها للزوج، کما نلاحظ هـذه الظاهرة فی منظومة "ویس ورامین" عند"شـهرو" فی اختيارهـا أزواجا متعددة، وهذه دلالة علی خصائص المجتمع الذی يسود فيه نظام الأمومة أو سلطة الأم.

وهذه الظاهرة تسـهّل تبرير سوء سمعة "شـهرو" لاختيارها عددا کثيرا من الأزواج وإنجابها منهم أولادا عدة، کما ورد فی المنظومة:

بچه بوده است شهرو را سی و اند نزاده است او زیک شوهر دو فرزند
یکایـک را ز ناشایسـت زاده بـه دایـه دایگانـی شـیر داده

ـ کان ل"شهرو" بضعة وثلاثون ولداً، ولم تلد لکل زوج أکثر من واحد.

ـ وقد وَلَدَتْ جميعَهم بصورة غيرشرعية، وکلّفت الربيبة إرضاعهم.

کانت للأمهات قدرات وافرة، بحيث يتدخّلن فی زواج البنات، ويُعيّنّ مقدار الصداق، کما أشار إلی ذلک "رامين" فی حديثه مع "گل":

چه نامـی و زکدامین جایگاهی مرا خواهی به جفتی یا نخواهی
اگـر با تو کسـی پیونـد جوید از او مادرت کاوین چند جوید

ـ ما اسمک وما مکانتک، أتقبلين أن أکون زوجک أم ترفضين زواجی؟

ـ إذا أراد أحد الزواج منک فکم تأخذ أمّک منه الصداق؟

وجديـر بالذکر أنّ حدود تدخّل الوالديـن فی زواج البنت کانت تنتمی إلی الثقافة والطبقة الاجتماعية التی تعلقت بها تلک الأسـرة، ولکنها عادة کانت تسلب من البنت حق الاختيار.

دايه

هناک امرأة أخری فی هذه القصة تسـمّی "دايه"، حيث أدّت دورا مهمّا فی إيصال

العشـــاق إلى الحبّ والغـــرام. إنها ذكية فى غاية الذكاء، ولهـــا خبرة وعندها معلومات وافـــرة عن الحيل النســـائية، إنها ليســـت من عامّـــة الناس ولا أمية، بـــل لها معلومات عن الكيفيات الروحية والنفســـية التى يعيشها البشـــر، كما عندها معلومات عن طبيعة الإنســـان. ولابدّ أن تمتلک خصائص كهذه حتى تصلح لتربية أطفال الشرفاء من الناس وعظمائهم المودعين عندها.

إنها ثريّة جدّاً وخبيرة فى تكاليف الأمومة أحسن ممّا تعرفه "شهرو". و كانت "دايه" تلعب دوراً وسيطاً لحلّ المشاكل فى أيام المغازلة بين "ويس" و"رامين" فى حالة كانت هى نفسها طالبة للملذّات.

گل

"گل"، ابنـــة "رفيدا"، تعتبر من النســـاء اللاتى لعبت دورا محـــدودا فى القصة، وهى الّتى اتّخذها "رامين" زوجة له فى منطقة "گوراب"، وهى من النســـاء اللاتى تعيش فى ظّل شـــهرة أبيها. ولها شـــخصية منفعلة وســـاكنة، إنها فى بداية أمرها خضعت لمطالب "رامـــين" الغرامية، ثمّ واجهت جفاءه وفراقه دون أن تحتـــج عليه، وكأنها لاقيمة لها إلا بحبّ "رامين" لها، وبعد أن ملّها "رامين" وانشغل بحبّ "ويس"، ولم يكن يهتمّ بهمومها ولا بغضبهـــا وقلقها، فحينئذ خضعت للأقدار المحتومة واستســـلمت للهموم. ومن هذا المنطق نرى مكانتها الضعيفة مقارنة بمكانة "ويس" الرفيعة.

مكانة المرأة فى منظومة "بيجن ومنيجه"

فـــى البحث عن مكانة المرأة فى "الشـــاهنامه"من وجهة نظر الفردوســـى، عرفنا أنّ للنســـاء مكانة تكاد تكون مرموقة، وللنســـاء اللاتى قمن بالمشـــاركة فى النشـــاطات السياســـية شهرة واســـعة وقدرة عظيمة،كما نرى هذه الظاهرة فى قصة "بيجن ومنيجه" وهى أنّ "منيجه" قبل أن يتعرف "بيجن" عليها لم يكن اسمها مذكورا فى القصة، ولكن بعد أن تعرّف عليها تردّد ذكرها وأصبحت مشـــهورة، ولكن النساء اللاتى لم تكن لهنّ علاقة بالحكومة أو السياسة أو تأثير فى أركان الحكم لم يشتهرن أبداً؛ فلهذا نرى "منيجه" عند التقائها ببيجن لأوّل مرة تقوم بتعريف نفسها له قائلة: "أنا منيجة بنت أفراسياب" وبهذه

العبارة تشير إلى أصلها ونسبها الذى ينتهى إلى أبيها "أفراسياب" الشهير.

وظاهـرة أخرى نراها فى قصة "بيجن ومنيجـه" هى حرّية التفكير والعمل إلى حد تعطى للبنت فرصة تمكّنها من اختيار شريک حياتها، فهى لا تشعر بأى قلق وإن قامت الأسرة بطردها، لأنها تشقّ مشوارها فى الحياة عن بصيرة وبكلّ حرّية، دون أن يجبرها أحد على العمل ويقرر لها مصيراً محتوماً.

ومـع هذا كلّه، فوجهة نظر "أفراسـياب"، ملـک توران، عن بنتـه "منيجه" جديرة بالاهتمـام، لأنّها شـغفت بحب بطل إيرانى، فـى زمن كانت العـداوة قائمة بين إيران وتوران، فيوجّه الأب كلمات ساخنة ولادغة إلى ابنته قائلاً:

به دست از مژه خون مژگان برفت برآشفت و این داستان بازگفت
کـرا در پس پـرده دخـتر بود اگـر تـاج دارد بد اخـتر بود

– فثارت ثورته وقصّ قصته ودمعه الدامى ينزف من أهداب عينه قائلاً:

– من كانت له ابنة فى الخفى فهو سيء الحظّ ولو كان ملكا.

فمن الطبيعى أن لا نتوقع من هذا الأب إلا الغضب والخشونة حيث يقول:

از ایـن کار ناپـاک زن هشـیوار با من یکـی رای زن

أيها العاقل الذكى! شاورنى فى أمر هذه هذه المرأة المتهتّرة.

يجـب علينا أن ننتبه بأنّ نظرة "أفراسـياب" متعلقة بـ"تـوران"، فهى لا تمثل النظرة الإيرانيـة للمرأة، وكذلک نواجه مثل هذه الرؤية السـلبية تجـاه المرأة فى موضع آخر من القصة ولاسـيما فى الجزء الذى يتحدث عـن "منيجه"، وهو الجزء الأكثر حزناً فى "الشاهنامه"، حيث يطلب "بيجن" من "منيجه" أن تقسم بأن تكتم أسراره. وقد عزّ على "منيجه" كلام "بيجن" والميثاق الذى أخذه منها، بحيث أصبح العالم فى عينها أكثر ظلاما من ظلمة بئر سُجِنَ فيها "بيجن".

شـعرت "منيجه" بأنها تبدلت إلى شخصية أخرى، شخصية عاشقة باكية اشمأزّ منها الأب والأهل وأعرضوا عنها، إنها حافية راكضة إلى كل منتدى، فاقدة الكنز والجوهر والتاج، بعيدة عن المال والجاه والشهرة، يائسة من "بيجن" ووصاله فيعز عليها أن تسمع:

کنـون گر وفـای مرا نشـکنی به سـوگند با من تو پیمان کنی

بگویم ترا سر بسر داستان چو باشی به سوگند هم داستان
که گر لب بدوزی زبهر گزند زنان را زبان کم بماند به بند

ـ إذا لم تُنقِضِ عهدی، وتعاهدیننی مقسمة.
ـ سأحکی لک قصصا وحکایات، شریطة أن تبادلینی المشاعر وفاءً بعهدک.
ـ وأن تکونی کاتمة لسری خوفاً من أن یلحق بی ضرر، علماً بأنّ عدد النساء اللاتی یکتمن الأسرار قلیل جداً.

ولا تستحق امرأة کـ"منیجه" أن تُعامل بمثل ما عاملها "بیجن" الذی یدین بحیاته لها، حیث أنقذته من البئر الضیقة المظلمة التی سجن فیها، فلم یکن نصیبها من "بیجن" إلّا التشّرد وحیاة الخفة والعار. وربّما هذا هو السبب الذی دعا "بیجن" کی لایتأخر عن تقدیم اعتذاره إلیها.» (دبیر سیاقی، ١٣٦٥ش: ٦٩و٧١)

ورغم ذلک وبعد أن تعرفت "منیجه" علی "رستم" أسرعت إلی إطلاق سراح "بیجن" بمساعدة البطل العالمی،"رستم"، ناسیة آلامها وهمومها وبعد إنقاذه من السجن ترکت بلادها ومسقط رأسها ورافقت "بیجن" و"رستم" متوجّهة إلی إیران بکامل اختیارها.

إنها عاشت فی إیران حیاة طیبة کریمة بحیث حظیت باحترام "کی خسرو" والآخرین واحتلّت مکانة مرموقة تعادل مکانة المر أة الإیرانیة بحیث یوصی "کی خسرو"، "بیجن" برعایة حقوق "منیجه" والاحترام لها.

دراسة شخصیة "ویس" فی منظومة "ویس ورامین"

"ویس" أو "ویسة" هی الشخصیة الرئیسیة فی المنظومة وتنتهی إلیها شخصیة الآخرین. إنها بنت "شهرو" و"قارن" وملکة "ماه آباد"، لها شخصیة فریدة بین النساء فی الشعر الفارسی، «إنها مخطوبة عند میلادها وبعد أن بلغت رشدها تزوجت بأخیها، ثمّ اختطفها بعد سنوات ملک معمّر، وأصبحت زوجته، ثم عشقت أخا زوجها ووقعت فی حبّه لعدة سنوات دون أی خوف وخجل، ثمّ قامت بتحریضه للقیام علی زوجها الشرعی وحکومته، وبعد أن زالت دولة زوجها تزوجت بعشیقها وعاشت مائة سنة بکاملها.» (مجلة چیستا: ٦٦٥)

للدكتور إسلامى ندوشن رأى عن "ويس" أورده فى كتابه "جام جهان بين" قائلاً: «إنها امرأة مخلصة وعفيفة، ولا يدفعها الاستياء أن تتورط فى الهوة، وربّما استسلامها لـ"رامين" هو نوع من الانتقام من رجل فصلها من زوجها المحبوب،"ويرو"، وقتل أباها واختطفها من مسقط رأسها.»

«ليست "ويس" من أهل الكيد فى أفعالها، لأنها بعد اتصالها بـ "رامين" ضحّت من أجله بدينها ودنياها مخلصة له الحبّ، وجدير بالذكر بأنها طردت "دايه" ما إن أخبرتها بحبّ "رامين" لها، وسمّتها القبيحة، والوقيحة، رغم أنها كانت محرومة من حبّ زوجيها الاثنين مِن قبل، لأنها مكبلة بحبل التقوى والعفاف ورجيلها مشدودتان به، وهى سيّدة عفيفة تخاف من الفضيحة والذنب والجحيم وغضب الله تعالى من جانب، ومن جانب آخر قد أخافها مصيرها الأليم من زواج جديد، فلذلک تقوم بمعاتبة "دايه" قائلة:

هم از ویرو هم از من شرم بادت که از ما سوی رامین گشت یادت

مرا شوخی و بی شرمی میاموز که بی شرمی زنان را بدکند روز.»

(محجوب، ١٣٧٧ش: ٧٧و٧٨)

"يا قليلة الحياء" اخجلى منّى ومن "ويرو" فى حديثک معى عن حب "رامين"!

لا تعلّمينى المزاح وعدم الحياء، لأن قلة الحياء تشوّه سمعة المرأة يوماً بعدَ يوم.

وأما "دايه" فتعرف ما يجرى فى نفس "ويس" فأخذت تتحدث عن حبّ "رامين" لها بحرارة ساخنة وعن اغتنامها للفرصة طول عمرها والانتفاع بالملّذات فى أيام الشباب والحياة بكياسة خاصة، بحيث لم تبال "ويس" بالخزى وسوء السمعة وأغمضت عينيها على كلّ شىء سوى "رامين"، لأنه الرجل الوحيد الذى استحسنته وأرادته لنفسها لتعيش معه عيشة غرامية، وإن جاء ذلک متأخرا، ولكنّها خضعت له بكامل وجودها تقول:

مرا رامین به مهر اندر چنان بست که نتوانم زبندش جاودان رست

– كبّلنى "رامين" بقيد محبّته بحيث لا يمكننى الخلاص منه.

فيبلغ عشقها لـ "رامين" مبلغاً يمنعها من التفكير فى الخزى وسوء السمعة والموت وعذاب الآخرة.

ولـ"ويـس" روح متمـردة تثور على المجتمع الذى يسـود عليـه الرجال فلا يمكن لحـوادث الدهـر أن تجعلها منفعلة ومطيعة، بل إنها تقاوم بعـزم وتأخذ حقّها من الدنيا والمجتمع، لأن المجتمع قد حرمها من كل شـيء وحتى مـن حقّها الطبيعى وهو اختيار زوج تحبه، وبدلاً من ذلک قررّ المجتمع لها مصيراً محتوماً فى الحياة ولكن "ويس" هدمت بعزائمها الراسخة وقدراتها الأنثوية أساس هذا الحرمان، أى عدم حرية الرأى واختيار العمل، ووقفت أمام المجتمع الذى يسـطر عليه الرجـال وقلّبت العلاقات الاجتماعية والثقافية السـائدة. إنها ضحّت بسمعتها قى سبيل حرّيتها وقامت بتغيير المصِير المحتوم الذى قررّه الآخرون لها. «ويس امرأة مخلصة تريد العيش والانتفاع من عمرها، ولكن أخلاقياتها السـاخنة تمنعها أن تخضع للحـوادث، لأن حبّها للحرّية وحق الاختيار ظهر فى وجودها من أوان الطفولة، فهى ذات عزم مسـتقل من ذلک الأوان، وقد بدا ذلک فى اختلافها مع "دايه" فى اختيار ثوب لها:

همى نپسندد اكنون آنچه ما راست وگرچه گونه گونه خز و ديباست.»

(إسلامى ندوشن، ۱۳۷۰ش: ۹۵)

– لايعجبها ما يعجبنا من الثياب وإن تكن من أنواع الخزّ والديباج.

"ويـس" ابنة الملک، إنها عفيفة ذات حياء ولكنّها تبحـث عن الملذّات مراعية جانب العفاف والتقوى، وإنها ليست امرأة تتخذ مواقف انفعالية أمام كوارث الدهر وضحى بنفسها استجابة لمطالب الآخرين، بل إنها تلحّ فى مطالبها الغراميّه وتدافع عن حقها ولاتخاف من أى شيء، ولكن هناک صراع فى نفسها بين القوّتين المتضادتين وهما قوّة العشق والغرور.

يتجلّى حبّها تجاه حبّ "رامين" كما يتجلّى غرورها تجاه جفاء "رامين"، لأنّها لاتزال تعرف فن الغرام أكثر مما يعرفه "رامين". إنها تعانى وتبتهج معاً ولكنّها تربّى نفسها على حبّ "رامين" فعاشت مائة سنة مع هذا الحبّ.

دراسة شخصية "منيجه" فى منظومة "بيجن ومنيجه"

اسـم "منيجه" صـورة مؤنثة معدولـة عن أصله البارتـى وهو "مانـک". إنّها بنت أفراسـياب الجميلة، ملک توران، وذُكِرَت بأسماء وصفات مختلفة منها: الشـمس، جميلة

الوجة، صنم الجثة، حسناء "سمير"، البنت الجميلة، وردة الخدّ وما إلى ذلک. إنها امرأة مضحية وشجاعة فى الحبّ. وهذه الشجاعة إن لم تكن أكثر من شجاعة "تهمينه" فليست بأقلّ منها؛ إنها واجهت "بيجن" فى ساحة المهرجانات وعشقته فى اللقاء الأوّل، ثمّ أرسلت "دايه" إليه للتعرف على هويته.

فرستاد دايه را چون نوند که رو زير آن شاخ سرو بلند

– أرسلت إليه "دايه" مسرعة وقالت: اذهبى تحت غصن ذاک السرو الباسق. أى حاولى أن تتعرفى عليه بأحسن صورة وفى أسرع الوقت.

إنها دعت "بيجن" إلى خيمتها فعشقها "بيجن" لحظة رؤيتها، فاشتغلا بالمغازلة، وبعد أن مضت عليهما ثلاثة أيام، قصد "بيجن" العودة إلى إيران، ولكنّها لم تكن تطيق البعد عنه، فسكبت المعجون المفقد للوعى فى خمرته، ثم نقلته إلى قصرها وهو نائم.

بفرمود تا داروى هوش بر پرستنده آميخت با نوش بر

بدادند مر بيژن گيو را مر آن نيکدل نامور نيو را

– أمرت خادمتها أن تصبّ المعجون المفقد للوعى فى خمرته.

– فمن تلک الخمرة سقيا "بيجن" البطل، ذلک الرجل الطيب الشجاع الشهير.

كانت "منيجه" شجاعة فى ميدان الحبّ جدّا، وهذه الشجاعة ناتجة عن بصيرتها «لأنها حُرِمَت من جميع الامتيازات الملكية بعد اطلاع أفراسياب على حضور "بيجن" فى قصر "منيجه" والقبض عليه و إلقائه فى السجن، ولكنها كامرأة مسكينة ولكن عاشقة كانت تطوف حول بئر حبس فيها عشيقها ولأجل أن لايموت كانت توفّر له طعاماً من هنا وهناک وتصبّه فى داخل البئر من خلال الحفرة الموجودة على جدار الحجرة، وقد واجهت خشونة أخرى عند التقائها بـ"رستم"، الذى كان يقصد إنقاذ بيجن من السجن، ولكنّها تحمّلت كلّ ما واجهته فى تلک الأيام.» (حائرى، ١٣٨٣ش: ١٠١) فبثّت شكواها من أيامها خائبة و قانطة:

به رستم نگه کرد و ناليد زار زخوارى بياريد خون بر کنار

– إنها نظرت إلى "رستم" وأنّت أنينا ونحبت نحيبا، وذرفت دما من عينيها لأجل ما نالها من هوان .

فاعتذر رستم إليها بعد أن سمع قصة حياتها الأليمة، واستعطفها وأشفق عليها، وفى النهاية تغلّبت "منيجه" على جميع المصاعب بالشحنة الحرارية التى كانت تنبثق من حبها الساخن لـ"بيجن" بحيث قررّت لها مصيراً زاهراً فى الحياة؛ «إنها أعرضت عن حياتها الراغدة فى قصر أبيها وأغمضت عينيها على الحقد الدفين القائم بين إيران و توران فشغفت بحبّ "بيجن" وخلقت أجمل أسوة نسائية للتضحية فى جميع عصور البطولة.» (غفورى، ١٣٨٨ش: ٢١١)

إنّ "منيجه" فضلاً عن بصيرتها وعزمها، امرأة صادقة ومخلصة فى الحبّ والتضحية، ومع هذا كلّه إنها حسّاسة جدّاً وسريعة التأثر، بحيث تجرح عواطفها بكل كلام جافّ يخرج من لسان "بيجن".» (خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٩٨) «إنها أعرضت عن حياتها الراغدة والمتنعمة فى بلاط الأب متحملّة جميع المآزق والمصاعب التى نتجت عن هذا العشق المحظور، ولكنّها فى عملية نشيطة، ومع الإعراض عن القدرة والنعمة حاولت إحياء الحب والحبيب ولو كان بالكدية:

چو از كوه خورشيد سر بزدى منيژه زهر درهمى نان چدى
به بيژن سپردى و بگريستى برآن شوبختى همى زيستى.»

(حميديان، ١٣٧٢ش: ٢١٤)

– بمجرد طلوع الشمس من وراء الجبال كانت "منيجه" تشترى الخبز بكل درهم اكتسبته.

– كانت تعطيه لـ "بيجن" وتبكى على شقاوة جدّها.

«إنها وقيّة ومعترفة بالجميل ومحبّة للزوج وثابتة الجنان مستقيمة، ولكنّها لا تراعى جانب الحرام فى الحبّ وكسب الملذّات مع أنها لاتتجاوز إطار الأدب، وبما أنها ليست حازمة فى أمرها وقعت فى حبّ بيچن.» (دبير سياقى،١٣٦٥ش: ٦٥)

إنّ "بيجن" بطل إيرانى ومن أسرة "گودرزيان" ولا بدّ هنا أن نتعرف على مقدار الكراهة والخوف الموجود بين إيران وتوران بسبب الخلافات المتعددة القائمة بينهما آنذاك؛ والحالة هذه وقعت "منيجه" فى حبّ "بيجن"، و"منيجه"، على حسب قولها، هى الّتى لم تلمس الشمس وجهها، وإنها ترعرعت فى النعمة والرغدة، ولكنّها لاتتعلق

بالدنيـــا، بل تركت حياتهـــا بصورة كاملة، ووقعت فى ورطة الهلاك والتســوّل دون أن تنسى "بيجن"، البطل الإيرنى الشهير.

رافقت "منيجه" "بيجن" بحبّها الخالص وبقلبها المحروق فى جميع المراحل، لأنها كانت مستقلة وثابتة الأقدام فى قراراتها وتصرفاتها. وقبل أن يُحكَم على جسارتها فى الحب حكماً يثير إســاءة الظن فيها أثار حبّها الشديد وصبرها الجميل تجاه المتاعب إعجاب الجميع لأنها أدبرت على أعداء إيران وأقبلت على أرض إيران وأعرضت عن الأقذار الســائدة على أرض أبيها وتحركت نحو العلى رغم تلك الجسارة الهائلة فى الحبّ. ولا شــك أنها امرأة شــجاعة جدّا فى الحبّ والغرام ومرافقة الحبيب، كمــا أنها امرأة لها حريّتهــا وقدرة اختيارها وأنهــا ثابتة الأقدام والمثابرة فى التفكــير والعمل كما كانت سخية وصبورة، ولها مشاعر لطيفة وظريفة جدّاً ومعنويات رفيعة.

وقصــة حياة "منيجة" النشــيطة هى قصــة الحبّ وقصة الحريّــة والاختيار، بل إنها حكاية من مجموعة الحكايات الغرامية الخالصة التى حدثت فى ساحة التاريخ الرحيبة، والتى نبعت من ينابيع قلوب العاشقين وجرت على مدى التاريخ.

«لقيت "منيجه" قبولاً فى المجتمع الإيرانى وفى الثقافة الإيرانية، بسمتها امرأة مولعة بالحــبّ والغرام ومتصفة بحميّة الشــباب ومتميزة بالإخلاص والوفاء لحبيبها الشــهير، وبدورها الفعّال وشخصيتها المستقلة ومكانتها العالية.» (مهذب، ١٣٧٤ ش: ١١٥) «إنها إمرأة حرّة تفرّق بين إيران وتوران وبين القصر والكوخ بشرط أن يقف "بيجن"، عشيقها المحبوب، بجانبها، وأمانيها الأساسية فى الحياة تكمن فى وجود "بيجن" أو عدم وجوده وفى التعايش معه أو بدونه.» (وداد، ١٣٨٨ش: ٢٤)

المقارنة بين شخصية "ويس" و"منيجه"

«"ويس" و"منيجه" كلاهما من أشــراف قومهما وترعرعتا فى بيت الشــرف وعاشتا متنعمتين فى عصرهما، ومن الناحية الاجتماعية لا نجد فرقاً كبيراً بينهما وبين محبوبيهما، أى "رامين" و"بيجن".» (پيرى، ١٣٨٥ش:٥٧) بل هناك قواســم مشــتركة بين "ويس" و"منيجــه"، منهــا : الجســارة، والمحبّــة، والإرادة، والبصيرة، والغرور، وســرعة التأثر،

والتضحيــة، والوفاء، وإضافة إلى ذلک نجد ميزة أخــرى فى "ويس" بأقوى صورتها، وهى "الحســد"، الميزة الّتى لانجدها فى "منيجه" لعدم وجود منافســة غرامية أخرى فى حياتها.» (خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٩٦)

إنهما جســورتان فى الحبّ ولكن جسارتهما ليست ناتجة عن الهوس؛ والدليل على ذلک أنّ "بيجن" عندما سُــجِنَ فى البئر لم تتركه "منيجه" وحيدا، وهى أميرة، بل وهبته روحها وأعطته أموالها وتخلّت عن أســرتها وأقبلت على الكدية حباً له؛ ولو كان حبّها ناتجا عن الهوى لتركته على حاله، واعتنت بحياتها بكلّ حماس، إلا أنَّ جســارتها كانت مبنيّــة على الحبّ والبصــيرة فلزمت حبّها واعية. ومثل "منيجــه" كانت "ويس"، حيث رأت لنفســها الحق فى أن تخون الملک "موبد" الذى اختطفها وحبسها فى بيته، وتعشق "رامــين". ويبدو أن عملها هــذا ناتج عن بصيرتها بالحبّ وعيها له، فهى إن كانت أهل الهوى والزيغ فى الحبّ ما التزمت رجلا واحدا وما قامت بالتضحيه والفداء.

وأما جسارة "ويس" وعزمها ووعيها أكثر من أن يحتاج إلى إيضاح، ورغم أنّها كانت فــى بداية أمرها مترددة فى حبّهــا لـ"رامين"، ولكنّها لم تكن نادمة على خيانتها لـ"موبد" قطّ؛ وبقدر ما أبدت من التضحية والإخلاص فى حبّها لـ "رامين" أبدت كراهتها لـ"موبد" ودافعت عن خيانتها؛ وهذا الأمر يدلّ على شجاعتها وبصيرتها فى حبّها لـ"رامين"، بحيث لم يغيّر جفاء رامين لها من حبّها له أدنى تغيير.» (خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٩٩)

ويبدو أنّ "ويس" فى حبّها لـ"رامين" كانت أكثر وفاء من "منيجه" فى حبّها لـ"بيجن"، والدليــل على ذلک أنّ "ويس" و"رامــين" كلاهما أميران إيرانيان، ولهما شــأن واحد ومنزلــة واحدة ولافضل لأحد على الآخر؛ ومع هذا كلّــه كانت "ويس" وفية جدّا فى حبّها لـ"رامين" دون أن يكون له أى تفوّق عنصرى عليها. فلم تكن "ويس" تحصل على أيّة مفخرة من زواجها بـ"رامين"، وهذا هو معنى الحبّ الخالص عندها.

وأمّــا الأمر فيختلف عند "بيجــن" و"منيجه"، لأن "بيجن" كان بطلاً إيرانياً شــهيراً و"منيجه" أميرة توارنية، وقديما كان هناک تفوّق ملحوظ للجنسـّية الإيرانية على سائر الجنسيات؛ فبناء على هذا كان فى زواج "بيجن" من "منيجة" مفخرة لها، ومدعاة لجلب المحبــة والعشــق والوفاء، وهذا هو الســبب الذى جعل "منيجــه" أن تكون زوجة وفية

مخلصة، ودليل آخر على وفائها لـ"بيجن" هو عدم وجود منافسة غرامية أخرى تنافسها فى الحب، فوفت بعهدها لزوجها وهى مطمئنّة البال.

وأما "ويس" رغم أنّ "گل"، ابنة "رفيدا" تنافسها فى حبّها وغرامها إلّا أنّها كانت ملتزمة بحبّها لـ "رامين"، تفديه بروحها وتضحّى بنفسها من أجله مع علمها بوجود ضرّتها؛ إنّها تعيش على حبّ"رامين"، تنتظر عودته وتدعوه إلى نفسها بعشقها الصادق، فتتضرع إليه حتى يعود. إنها أثبتت وفاءها فى حبّها الساخن لعشيقها، فخلّدت اسمها فى قائمة العشاق.

ومن خصائص "ويس" التى رفعت من شأنها أصالتها وذياع صيتها، فهى مشهورة عند الكلّ، كما هى مشهورة عند "موبد" و"رامين" ولاتحتاج إلى أىّ التعريف. ولكن الأمر يختلف تماماً فى الحديث عن "بيجن" و"منيجه"، لأنّ "بيجن" لم يكن يعرف "منيجة" قبل لقائهما فاضطرت بتعريف نفسها له معتمدة فى ذلک على شهرة أبيها، أفراسياب.

وكذلک تتميّز "ويس" على "منيجه"، ابنة أفراسياب، ملک توران، بأنّ نسب أمها يعود إلى "جمشيد"، ملک إيران الأسطورى.

المقارنة بين المنظومتين من منظور النسوية

تشير دراسة مكانة المرأة فى هاتين المنظومتين إلى أنَّ للمرأة فى منظومة "بيجن ومنيجه" دوراً أكثر فى حرية التفكير واتخاذ القرارات والقدرة على إنجاز المهامّ بالنسبة لمنظومة "ويس ورامين" بحيث يمكن لـ"منيجه" أن تختار مصيرها بيدها وأن تجرب الحياة كما تحبها. ومن هذا المنطلق، فإنّ مجرد أن تكون المرأة قادرة وبكلّ حرّية على الحضور فى المهرجانات بمفردها، وأن تحبّ شابا غير معروف وأن تكوّن علاقات ودّية معه، دليل على وجود نوع من الحريّة فى المجتمع متناسبة مع ثقافة تلک العصور، ففى منظومة "ويس ورامين" تتضح مثل هذه العلاقات بحيث يلتقى موبد بـ "شهرو" فى ساحة المهرجانات ويخطبها، ولكن "ويس" تفتقد مثل هذه الحرية، وتواجه قيودات شديدة ومصيراً محتوماً فُرِضَ عليها.

فالحرية التى نالتها "ويس" فى عملها لا تدلّ على أنّ المجتمع قد منحها هذه الحرية،

بل إنها ناتجة عن تمردها على العلاقات السائدة فى المجتمع. وهذا هو الفرق الذى نراه فى مكانة المرأة فى منظومتى "ويس ورامين" و"بيجن ومينجه".

والأمر الملموس فى هاتين المنظومتين هو الانتقال من المجتمع الذى تسودُ عليه النساء إلى المجتمع الذى يسيطر عليه الرجال. وبدراسة شخصية "شهرو"، أم "ويس"، ومكانتها نلتقى بمجتمع محوره المرأة والأم ،ومكانة المرأة أفضل من مكانة الرجل، وكان الأولاد يرثون الأمهات، وللأمّ دور بارز فى زواج الأولاد وتقرير مصيرهم. ولكن عندما نقوم بدراسة شخصية "ويس" ومكانتها فى القصة نواجه مجتمعا يسيطر عليه الرجال وهذا يدلّ على انتقال المجتمع من تحكّم النساء إلى تحكّم الرجال؛ وكذلك تجلّت مثل هذه الظاهرة فى قصة "بيجن ومينجه" وأنها على حسب العلاقات السائدة على المجتمع الذى تسيطر عليه النساء، فلـ"مينجه" الحق فى اختيار الزوج وتقرير مصيرها، ولكنها من جانب آخر وعلى حسب القواعد السائدة على المجتمع الذى يسيطر عليه الرجال حرمت من الحياة الملكية والنعمات الموجودة فى البلاط، وطُردت من القصر وتشرّدت فى الأحياء والأزقه. وهذه الظاهرة أيضاً تدلّ عل الانتقال من المجتمع الذى تتحكّم به النساء إلى مجتمع يتحكّم به لرجال.

تتشابه هاتان القصّتان فى الأصول الثقافية والنُظُم والعلاقات السائدة على المجتمع، لأنّ جذور هاتين القصتين تعود إلى العهد الأشكانى والبارتى المتشابهين.

«منظومة "ويس ورامين" قصة أدبية واقعية، مكوّناتُها من الطبيعة، تخلو من أى تكلّف، فريدة من نوعها، لا مثيل لها إلّا فى "الشاهنامه"؛ ويبدو أن الّذين بادروا إلى خلق قصّة "ويس ورامين" كانوا يعون تماما بأنّ الإنسان مخلوق نسيجه من الخير والشر، فلم يسعوا إلى إخفاء جانب الشر من وجوده.» (إسلامى ندوشن،۱۳۷۰ش: ۲۱۹)

ومن مظاهر النسويّة فى هاتين القصّتين هو سعى المرأة لامتلاك زمام المبادرة فى قضية الزواج، فاستطاعت بكفاحها أن تظهر حبّها وتختار زوجها.

«كان "بيجن" يميل إلى زيارة "منيجه" بعدما سمع من جمال أوصافها، وكانت "منيجة" أيضا تنظر إليه من طرف خفى وهى فى خيمتها، فافتتنت بجماله قبل أن يزورها، فأرسلت إليه "دايه" لتفوز بحبه.» (موسوى، ۱۳۷۵ش : المقدمة)

وفى قصة "ويس ورامين" حيث الأعراف السائدة ضدّ المرأة نرى "ويس" تكافح فى

سبيل اختيار مصيرها بنفسها ونقض ما فرضه المجتمع عليها.

تشكلت القصّتان فى منظومتى "ويس ورامين" و"بيجن ومنيجه" فى مجتمع أشرافى مطلق العنان، ولم تكن النساء فيه خاضعات للقيود، بل يسعَين بإقامة الحفلات والمهرجانات، ويتمتّعن بالبهجة والسرور والموسيقى والملذّات. وكانت المجالس بدورها تمهّد السبيل للتواصل بين النساء والرجال، بحيث كانت لهن علاقات غرامية بالرجال الأجانب، كما هو مقرّر فى قصّة "بيجن ومنيجه" عند لقائهما الأوّل و كما هو بيّن فى علاقات "موبد" و"شهرو" فى قصّة "ويس ورامين".

و«ليست أوجه الشبه الموجودة فى المنظومتين بسبب تشابه الأشخاص فحسب، بل هناك مشابهة عريقة فى التفكير السائد على تلك القصص التى كانت ناتجة عن مجتمع واحد وفى فترة واحدة. ولا شكّ فيه أنّ قصّة "بيجن ومنيجه" الغرامية فى صورتها الأصلية أقرب إلى قصة «ويس ورامين» من هذه الصورة الموجودة، ولكنّها بعد دخولها فى القصص الملحمية فقدت كثيراً من عناصرها الغرامية وغير الملحمية كى تكون متطابقة مع القصص الملحمية.» (خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٠٦)

وبناء على هذا، فالمضامين الداخلية والخارجية الموجودة فى "الشاهنامه" هى نفس المضامين الموجودة فى قصة "ويس ورامين"، والأوضاع المنعكسة فى المنظومتين تتعلق بفترة زمينة واحدة، والفارق الوحيد هو أنّ «"الشاهنامه" يعرّفنا بالأوضاع الخارجية عن الحياة الإيرانية فى حالة تكثر فى قصة "ويس ورامين" العناصر الغنائية والشعرية وتلعب النساء فيها الدور الأساسى.» (مقربى، ١٣٧٥ش: ١٦٦)

النتيجة

لعبت المرأة فى إيران دورها البارز بأحسن صورة، وما تزال، فدافعت عن مكانتها الاجتماعية والسياسية والعاطفية، وقامت بمطالبة حقوقها الأساسية؛ وفى الفترة التى فقدت فيها قدرتها على التأثير وضعفت مكانتها و تزلزلت مصداقيتها واصلت نشاطاتها فى مجالات مختلفة بحيث خلّفت لنفسها سمعة حسنة وقيّدت اسمها فى صفحات التاريخ.

قام هذا المقال بدراسة منظومتى "ويس ورامين" لفخرالدين أسعد الجرجانى و"بيجن

ومنيجــه" للفردوســى بالاعتماد على المعلومات المتوفّرة فيهما، واســتعرض شــخصية "ويس" و"منيجه" الحقيقية كنموذج مثاليّ للمرأة فى أدبنا الفارسى، كما تمّت المقارنة بين المنظومتين من منظور النسوية.

تمكنّ هؤلاء النساء من هدم صرح الحرمان، وهو فقدان الحرّية فى التفكير والعمل، بعزائمهن الراســخة ووطاقاتهنّ الكامنة، وقاومن النظم والطقوس الســائدة فى مجتمع يتحكّم فيه الرجال، فقمن بتغيير مصيرهن المحتوم بمعاضدة من الحب الصادق.

المصادر والمراجع

إسلامى ندوشن، محمد على. ١٣٧٠ ش. جام جهان بين. لامک: مطبعة جامى.

پيرى، موسى. ١٣٨٥ش. ساختار شناسى مقايسهاى. لامک: مطبعة تفتان.

حائرى، جمال الدين. ١٣٨٣ش. زنان شاهنامه. لامک: مطبعة پيوند نو.

حميديان، سعيد. ١٣٧٢ش. درآمدى براندیشه و هنر فردوسى. لامک: مطبعة مركز.

خاتون آبادى؛ أفســانه. ١٣٧٦ش. «چهره و منش زن در منظومه ويس و رامين». مجلة چيســتا. رقم ١٣٨ و ١٣٩.

خالقــى مطلق، جلال. ١٣٧٩ش. بيــژن و منيژه و ويس و رامين. مؤذن جامى، محمد مهدى، أدب پهلوانى. لامک: مطبعة قطره.

دبير ســياقى، محمد. ١٣٦٥ ش. «چهره زن درشاهنامه»؛ حريرى، ناصر فردوسى؛ زن و تراژدى. لامک: مطبعة بابل.

غفورى، فاطمة. ١٣٨٨ش. شاهنامه از ديدگاه داستان شناسى. لامک: مطبعة مطهرى.

محجوب، محمد جعفر. ١٣٧٧ش. ويس و رامين. لامک: مطبعة نشر انديشه.

مزداپور،كتايون. ١٣٨٢ ش. گناه ويس. لامک: مطبعة أساطير.

مقربى، مصطفى. ١٣٧٥ ش. هژده گفتار "مجموعة المقالات". لامک: مطبعة توس.

موسوى، مصطفى. ١٣٧٥ ش. بيژن و منيژه. طهران: مطبعة توس.

مهذّب، زهرا. ١٣٧٤ ش. داستان‌هاى زنان شاهنامه. لامک: مطبعة قبلة.

وداد، فرهاد. ١٣٨٨ش. رازگونه‌هاى داستان بيژن و منيژه در شاهنامه. لامک: لانا.